مجلة عيون المسائل
Oyunul-Mesail Journal
Volume 11, Issue 1, July 15, 2026

مظاهر الزهد عند أصحاب المصنفات الحديثية والرواة: دراسة حديثية تراجمية

محمد وليد حميد عبد

جامعة المعارف الأهلية الأنبار، العراق

https://orcid.org/0009-0005-8728-3983 mw4147398@gmail.com

https://doi.org/10.5281/zenodo.22772327

الملخص

تتناول هذه الدراسة مظاهر الزهد والورع عند عدد من أئمة الحديث والرواة الذين وردت تراجمهم في كتب الرجال، مع التركيز على أصحاب المصنفات الحديثية والرواة المذكورين تمييزًا عن غيرهم من المتشابهة أسماؤهم. وتهدف إلى الكشف عن الجانب التعبدي والسلوكي في حياة هؤلاء الأئمة، واستقراء الأخبار المتفرقة المتعلقة بالزهد والورع وجمعها وتحليل دلالاتها في ضوء منهج المحدثين في نقد الرواية والتراجم، واعتمدت الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي، من خلال تتبع كتب التراجم والرجال والسير، والوقوف على أقوال النقاد والأخبار الواردة في أحوال الرواة، وتوصلت إلى أن الزهد عند عدد من أئمة الحديث لم يكن منفصلًا عن نشاطهم العلمي، بل ظهر في الورع، والتحري في الرواية، والتواضع، ومحاسبة النفس، وترك الرياسة، والقيام بالعبادة، والصدق في أداء الأمانة العلمية. كما تبين تفاوت المادة المنقولة عن هؤلاء بحسب شهرتهم ومقدار ما حفظته كتب التراجم من أخبارهم.

الكلمات المفتاحية: علم الرجال، الزهد، رواة الحديث، أصحاب المصنفات، أحوال الرواة.

Abstract

This study examines the manifestations of asceticism (*zuhd*) and scrupulous piety (*wara*ʿ) among a number of eminent hadith scholars and narrators whose biographical accounts are recorded in works of narrator criticism, biographical dictionaries, and books of *siyar*. Particular attention is given to the authors of hadith compilations and to narrators whom hadith scholars explicitly identified and distinguished from other narrators bearing similar or identical names. The study aims to highlight the devotional and ethical dimensions of the lives of these scholars and to trace, collect, and analyze the scattered reports concerning their asceticism and scrupulous piety in light of the methodological principles employed by hadith scholars in biographical evaluation and narrator criticism. The study adopts an inductive-analytical methodology by examining works of *rijāl*, biographical dictionaries, and *siyar*, as well as the statements of hadith critics and reports concerning the circumstances and conduct of the narrators. The study concludes that asceticism among a number of hadith scholars was closely connected with their scholarly engagement and was manifested in scrupulousness and careful verification in hadith transmission, humility, self-accountability, avoidance of seeking leadership, devotion to worship, and integrity in discharging the scholarly trust. It also demonstrates considerable variation in the quantity of reports transmitted concerning the narrators, depending on their scholarly prominence, status, and the extent to which biographical works preserved accounts of their lives and conduct.

Keywords: Ilm al-Rijāl (Narrator Criticism), Asceticism, Hadith Narrators, Compilers of Hadith Works, Narrators' Biographical Profiles.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن علم الحديث من أجلِّ العلوم الشرعية وأعظمها اتصالًا بحفظ السنة النبوية وصيانتها من الدخيل، وقد اعتنى المحدثون منذ القرون الأولى بنقل الحديث وتمييز صحيحه من سقيمه، كما أولوا عناية كبيرة بأحوال الرواة، فبحثوا في عدالتهم وضبطهم، ورصدوا أحوالهم العلمية والأخلاقية والسلوكية، وأفردوا لذلك المصنفات التي أصبحت من أهم مصادر معرفة تاريخ الرواية ورجالها.

وقد حظي أئمة الحديث وأصحاب المصنفات المشهورة بعناية واسعة في كتب التراجم والسير، فدُرست أنسابهم، ورحلاتهم، وشيوخهم، وتلاميذهم، ومناهجهم في التصنيف والرواية، وأقوال النقاد فيهم. غير أن جانبًا آخر من حياتهم يستحق مزيدًا من العناية، وهو الجانب التعبدي والأخلاقي، ولا سيما ما يتصل بالزهد والورع ومحاسبة النفس والتواضع وترك الرياسة والتحري في العلم والرواية.

وتنبع أهمية هذا الجانب من أن المحدث لم يكن ناقلًا للألفاظ فحسب، بل كان حاملًا للسنة، ولذلك كان تعظيمه لها وما يترتب على ذلك من احتياط وورع ظاهرًا في كثير من مواقفه العلمية والعملية.

كما أن أخبار الزهد عند الرواة وأصحاب المصنفات لم ترد في مصدر واحد، وإنما جاءت متفرقة في كتب التراجم والرجال والطبقات والسير والتاريخ، مما يجعل جمعها وتصنيفها ودراسة دلالاتها أمرًا يحتاج إلى استقراء واسع للمادة التراجمية.

ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتتناول نماذج من أصحاب المصنفات الحديثية، وفي مقدمتهم أصحاب الكتب الستة، إلى جانب عدد من الرواة الذين ذكرهم المحدثون تمييزًا عن غيرهم، وورد في تراجم بعضهم وصف بالزهد أو أخبار تدل على بعض مظاهره.

ولا يقصد البحث إلى إطلاق وصف الزهد على كل من وردت عنه حادثة أو موقف، وإنما يراعي التمييز بين من اشتهر بالزهد وثبتت عنه أخبار متعددة، وبين من ورد في ترجمته وصف مختصر أو خبر محدود. كما يراعي الفرق بين الحكم الحديثي على الراوي من حيث الثقة والضعف، وبين وصفه بالزهد أو الورع، إذ قد يكون الراوي ثقة في الحديث مع قلة ما نقل عنه في باب الزهد، وقد يرد وصف الزهد في ترجمته دون أن تكون المادة المتاحة كافية لبناء دراسة واسعة حول سيرته التعبدية.

أولاً: مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في أن كتب التراجم والرجال والسير قد حفظت أخبارًا متفرقة عن زهد عدد من المحدثين والرواة، إلا أن هذه الأخبار جاءت في مواضع متباعدة، ولم تُجمع ـ في حدود المادة المدروسة ـ في إطار يبرز العلاقة بين الزهد والورع من جهة، والممارسة الحديثية من جهة أخرى.

كما تبرز مشكلة أخرى تتمثل في تفاوت المادة المتعلقة بالرواة؛ فبعضهم اشتهر بالزهد وكثرت أخباره، مثل الحارث المحاسبي وعبد الرحمن الداراني، في حين أن بعض الرواة لم يصلنا عنهم إلا وصف مختصر بالزهد أو أخبار قليلة، مما يستدعي التعامل مع المادة التراجمية بدرجات من الاحتياط، وعدم التسوية بين من ثبتت عنه مظاهر متعددة من الزهد وبين من ورد وصفه بذلك دون مادة كافية للتوسع في الحكم عليه.

وعليه، يسعى البحث إلى الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي:

ما أبرز مظاهر الزهد والورع عند أصحاب المصنفات الحديثية والرواة المذكورين تمييزًا، وما مدى انعكاس هذه المظاهر على منهجهم العلمي وسلوكهم في الرواية وما علاقة ازهد بالتحري؟

ثانياً: أهداف البحث

يهدف البحث إلى:

1. استقراء الأخبار المتعلقة بالزهد والورع عند عينة من أصحاب المصنفات الحديثية والرواة المذكورين تمييزًا .
2. جمع المادة التراجمية المتفرقة المتعلقة بالجانب التعبدي والسلوكي للرواة في سياق بحثي واحد .
3. الكشف عن الصلة بين الزهد والعمل الحديثي، ولا سيما أثر الورع في نقد الرواية والتحرز في نسبة الأحاديث إلى رسول الله ﷺ .
4. إبراز قيمة أقوال النقاد في التراجم، مع التفريق بين الحكم الحديثي على الراوي وبين الوصف السلوكي أو التعبدي له .
5. إظهار النموذج الأخلاقي للمحدث وبيان مظاهر الزهد الذي جمع بين العلم والعمل، وبين حفظ السنة وتعظيم الأمانة العلمية.

ثالثاً: أهمية البحث

تنبع أهمية هذا البحث من عدة جوانب:

1. إبراز الجانب التعبدي والسلوكي لأئمة الحديث؛ إذ ركزت كثير من الدراسات على مكانتهم العلمية ومناهجهم في التصنيف والرواية، بينما لم يحظ جانب الزهد والورع لديهم بالقدر نفسه من الجمع والدراسة .
2. جمع الأخبار المتناثرة المتعلقة بزهد الرواة وأصحاب المصنفات من كتب الرجال والتراجم والسير، وربطها في إطار علمي واحد .
3. إظهار أثر الزهد في السلوك العلمي، من خلال نماذج التواضع، ومحاسبة النفس، وترك طلب الرياسة، والبعد عن المجاملة في الحكم على الرواة .
4. الإفادة في الدراسات الحديثية والتراجمية من خلال التمييز بين الأخبار الثابتة، وبين ما يُستفاد منه بالقرائن في وصف حال الراوي، وعدم بناء الحكم على مجرد الشهرة أو الانطباع .

خامساً: منهج البحث وحدوده

تنبع أهمية هذا البحث من عدة جوانب:

1. إبراز الجانب التعبدي والسلوكي لأئمة الحديث؛ إذ ركزت كثير من الدراسات على مكانتهم العلمية ومناهجهم في التصنيف والرواية، بينما لم يحظ جانب الزهد والورع لديهم بالقدر نفسه من الجمع والدراسة .
2. جمع الأخبار المتناثرة المتعلقة بزهد الرواة وأصحاب المصنفات من كتب الرجال والتراجم والسير، وربطها في إطار علمي واحد .
3. إظهار أثر الزهد في السلوك العلمي، من خلال نماذج التواضع، ومحاسبة النفس، وترك طلب الرياسة، والبعد عن المجاملة في الحكم على الرواة .
4. الإفادة في الدراسات الحديثية والتراجمية من خلال التمييز بين الأخبار الثابتة، وبين ما يُستفاد منه بالقرائن في وصف حال الراوي، وعدم بناء الحكم على مجرد الشهرة أو الانطباع .

سادساً: الدراسات السابقة

حظي الزهد بدورٍ رائدٍ بين العلوم الإسلامية التي تداولها المسلمون وحاولوا نشرها في البلاد التي سيطروا عليها، فكان الطبيعي أن يؤلّف العلماء المسلمون في الزهد المصنفات التي تتلاءم وثقل دوره في المجتمع، فكانت الدراسات التي تشكّلت بخصوص الزهد تتمثل في الآتي:

1-الزهد لابن المبارك (ت181هـ). وهو مطبوع بتحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، والكتاب خالٍ من تاريخ ومكان الطبع.

2-الزهد للمعافى بن عمران الموصلي (ت185هـ). وهو مطبوع من مطبوعات دار البشائر الإسلامية بيروت، بتحقيق د. عامر حسن صبري عام 1999م.

3-الزهد لوكيع بن الجراح بن مليح (ت197هـ). من مطبوعات مكتبة الدار، المدينة المنورة، بتحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي 1984.

4-الزهد لأسد بن موسى (ت212هـ). من مطبوعات مكتبة التوعية الإسلامية لإحياء التراث الإسلامي، ومكتبة الوعي الإسلامي، بتحقيق أبي إسحاق الحويني 1993.

5-الزهد لأحمد بن حنبل (ت241هـ). من مطبوعات دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان بتحقيق محمد عبد السلام شاهين، 1999م.

7-الزهد لأبي داود (ت 275هـ). من مطبوعات دار المشكاة للنشر والتوزيع. حلوان- مصر، بتحقيق: محمد عمرو عبد اللطيف 1993م.

المبحث الاول: زهد أصحاب الكتب الستة:

ليس المقصود من هذا المقال التعريف بأصحاب كتب الحديث، فإن الكتب والابحاث قد بذلت الوسع في دراسة اشخاصهم ومناهجهم فيما صنفوا، غير أن الباحث قصد إلى إبراز جانبٍ مهم من جوانب حياة هؤلاء الأئمة، يتصل بأحوالهم التعبدية وسلوكهم الزهدي، وما اتسمت به سيرتهم من مظاهر العبودية لله تعالى والتجرد له. ولعل هذا الجانب لم يحظَ من العناية والدراسة بمثل ما حظيت به جهودهم العلمية ومناهجهم الحديثية؛ إذ انصرفت عناية كثير من الدراسات إلى بيان مكانتهم في الرواية والتصنيف ومنهجهم في الحديث، في حين بقيت أخبار زهدهم وورعهم وعبادتهم مبثوثة في كتب التراجم والسير. ونظرًا إلى شهرة أصحاب الكتب الستة وعلو مكانتهم في علم الحديث، فإن الدراسة المتعلقة بهم ستقتصر، من الناحية التراجمية، على عرض موجز لأسمائهم وأنسابهم وأقوال أئمة النقد فيهم، مع التركيز على ما ورد في مصادر التراجم من أخبار تدل على زهدهم وورعهم وعبادتهم، بما يحقق المقصود من الدراسة دون استطراد في الجوانب التي اشتهرت بها تراجمهم العلمية.

ولعل الزهد في حياتهم لم يجمع على النحو الذي استقرأه الباحث وأفرد له المباحث والمطالب، بل كانت هذه الناحية مجرد أخبار منثورة هنا وهناك في بطون الكتب فحاول الباحث استقراءها وجمعها على نحو علمي مقبول في الدراسات الجامعية.

وبعد جهد مديد لم يجد الباحث مسعاه في المصنفات التي ترجمت لأصحاب الكتب الستة، ولكن هناك نصوص فهم منها الباحث جوانب تخص الزهد فضمّنها موضوع بحثه ثم بيّن ما تحتويه تلك النصوص من إشارات زهدية.

فالله أسأل القبول والإعانة فمنه التوفيق والسداد.

المطلب الأول: البخاري:

اسمه ونسبه:

هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه البخاري الجعفي، أحد أئمة الحديث وأعلام المحدثين. وكان جده الأعلى بَرْدِزْبَه على المجوسية، ثم أسلم ابنه المغيرة بن بَرْدِزْبَه على يد النعمان بن محمد الجعفي والي بخارى. وُلد الإمام البخاري يوم الجمعة، وختم الله تعالى حياته ليلة السبت، ليلة عيد الفطر، وتوفي سنة 256هـ، ودُفن بعد الظهر في مستهل شهر شوال بقرية خَرْتَنْك، وهي من قرى سمرقند، وتبعد عنها نحو فرسخين [1].

أقوال النقاد فيه:

قال ابن حبان: من أفضل الناس، ممن حفظ وجمع وصنف، وحُثّ عليه، واعتنى كثيرا بالأخبار وحفظه للآثار، وهو عالم بالتاريخ، ولزوم الخوف الخفي وهو متعبد إلى أن مات رحمه الله[2].

نماذج من زهده:

ومما يدل على شدة زهده وصبره ما نقله ابن أبي حاتم، قال: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: «خرجت إلى آدم، فتخلّفت عني نفقتي، حتى جعلت أتناول الحشيش، دون علم أحد». ويكشف هذا الخبر عن شدة تحمّله ومجاهدته لنفسه، وتقديمه طلب العلم والرواية على حظوظ النفس ومتاع الدنيا، مع ما اتصف به من تعفف وصيانة للنفس عن سؤال الناس وإظهار الحاجة إليهم. [3].

وعن مسبح بن سعيد، قال: كان محمد بن إسماعيل البخاري إذا كان أول ليلة من شهر رمضان يجتمع إليه أصحابه فيصلي بهم ويقرأ في كل ركعة عشرين آية. وكذلك إلى أن يختم القرآن، وكان يختم كل يوم ختمة، ويقول: عند كل ختم دعوة مستجابة[4].

من الأخبار الدالة على شدة عنايته بالعبادة وصبره في الصلاة، ما رواه محمد بن أبي حاتم الورّاق، قال: دعا البخاري بعض أصحابه، فلما حضرت صلاة الظهر أمَّ القوم، فأطال القيام، فلما فرغ من صلاته رفع ذيل قميصه، وقال: «انظر، هل ترى تحت قميصي شيئًا؟» فإذا زنبور قد أبره في مواضع كثيرة، وقد تورم جسده. فقال له بعض أصحابه: كيف لم تخرج من الصلاة حين ابتدأك باللسع؟ فقال: كنت في سورة، فأحببت أن أتمها.

ويظهر من هذا الخبر قوة صبر الإمام البخاري وشدة استحضاره للعبادة أثناء الصلاة، وحرصه على إتمام قراءته وعدم قطعها لمجرد ما لحقه من أذى، وهو مما يُستأنس به في بيان عنايته بالعبادة ومجاهدته لنفسه، مع مراعاة أن دلالة الخبر تقتصر على ما يثبته من الصبر في الصلاة، ولا يلزم منها تعميم ذلك على جميع أحواله التعبدية. [5].

---

(1) أبو الوليد الباجي سليمان بن خلف بن سعد (ت474هـ)، التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، المحقق: أبو لبابة حسين، دار اللواء للنشر والتوزيع – الرياض، ط1، 1406هـ – 1986م، 308/1.

(2) ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد (ت 354هـ)، الثقات، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط1، 1393هـ - 1973م، 114/9.

(3) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1985م، 448/12.

(4) المزي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف (ت742هـ)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المحقق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط1، 1980م، 446/24 (5059).

(5) المزي، تهذيب الكمال، 447/24 (5059).

وركب البخاري وأصحابه يوما للرمي فأصاب وتد قنطرة فأخرج السهم من الوتد وقال لأصحابه: ارجعوا، ثم قال لمحمد الوراق: حاجتي إليك أن تذهب إلى صاحب القنطرة فتخبره أنا قد أخللنا بالوتد، فنحب أن تأذن لنا في إقامة بدله، أو تأخذ ثمنه وتجعلنا في حلٍ مما كان منا...[6]، وهذا الخبر اختصره الباحث لطوله.

وقال البخاري رحمه الله: رأيت النبي ﷺ في المنام، وكأني واقف بين يديه، وبيدي مروحة أذب عنه، فسألت بعض المعبرين، فقال: أنت تذب عنه الكذب، فهو الذي حملني على إخراج الصحيح[7].

من أبرز المواقف الدالة على عزة الإمام البخاري بالعلم، وورعه في أدائه، ما رواه بكر بن منير بن خليد بن عسكر، قال: بعث الأمير خالد بن أحمد الذهلي، والي بخارى، إلى محمد بن إسماعيل البخاري، يطلب منه أن يحمل إليه كتابَي الجامع والتاريخ وغيرهما؛ ليسمع منه. فأجاب البخاري رسولَه بقوله: «أنا لا أُذلُّ العلم ولا أحمله إلى أبواب الناس، فإن كانت لك إلى شيء منه حاجة فاحضرني في مسجدي أو في داري، فإن لم يعجبك هذا فأنت سلطان، فامنعني من المجلس؛ ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة، إني لا أكتم العلم»، مستدلًّا بقول النبي ﷺ: «من سُئل عن علم فكتمه أُلجم بلجام من نار.«

ويعد هذا الموقف من ورع الإمام البخاري وصيانته لمكانة العلم عن أن يكون تابعًا لأهل السلطان، فلم يكن امتناعه عن الذهاب إليهم امتناعًا عن تبليغ العلم، وإنما كان حرصًا على أن يُطلب العلم في موضعه، وأن يبقى العالم مصونًا عن مواطن التذلل والابتذال. كما يظهر فيه استحضاره للنص النبوي في وجوب أداء العلم وعدم كتمانه، مما يدل على أن زهده لم يكن مقتصرًا على ترك متاع الدنيا، بل شمل كذلك التجرد في طلب العلم وتعليمه، والاستقلال عن المؤثرات الدنيوية، والقيام بأمانة التبليغ. [8]. قال: وكان سبب الوحشة بينهما هذا[9].

وعن الفربري، قال: رأيت النبي ﷺ في المنام، فقال لي: إلى متى تدرس الفقه ولا تدرس كتابي؟ قلت: وما كتابك يا رسول الله؟ قال: جامع محمد بن إسماعيل البخاري[10].

وعن الطواويسي، قال: رأيت النبي ﷺ في النوم ومعه أصحابه وهو واقف، فسلمت عليه، فرد، فقلت: ما وقوفك يا رسول الله؟ فقال: أنتظر البخاري. فلما كان بعد أيام بلغني موته، فنظرنا فإذا هو قد مات في الساعة التي رأيت النبي ﷺ فيها[11].

وقال البخاري –رحمه الله–: أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحدا، فعلق الذهبي بقوله: قلت: صدق –رحمه الله– ومن نظر في كلامه في الجرح والتعديل علم ورعه في الكلام في الناس، فإنه أكثر ما يقول: منكر الحديث، سكتوا عنه، ونحو هذا. وقلّ أن يقول: فلان كذاب، حتى إنه قال: إذا قلت: فلان في حديثه نظر، فهو متهمٌ واهٍ، وهذا معنى قوله: لا يحاسبني الله أني اغتبت أحدا، وهذا هو والله غاية الورع[12].

---

(6) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 444/12.

(7) النووي، محي الدين يحيى بن شرف (ت676هـ)، تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية – بيروت لبنان. د.ط، د.ت 70/1.

(8) ابن حنبل، مسند أحمد، 18/13، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(9) المزي، تهذيب الكمال، 465/24، (5059).

(10) النووي، تهذيب الأسماء واللغات، 75/1.

(11) المزي، تهذيب الكمال، 467/24(5059).

(12) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 441/12.

المطلب الثاني: مسلم:

اسمه ونسبه:

مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري[13].

أقوال العلماء فيه:

قال الحافظ: عالم موثوق، حافظ لكتاب الله سبحانه وتعالى، فقيه[14].

نماذج من زهده:

لم يقف الباحث على أخبار زهد الإمام مسلم بعد طول بحث، ولكن هناك بعض الأخبار التي فهم منها الباحث بعض الإشارات التي تدلّ على صدقه وورعه ولا شك أن هذين المبحثين (الصدق والورع) من أدق مباحث علم الزهد. فمن ذلك: قال رضي الله عنه: صنفت هذا المسند الصحيح من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة[15].

وهذا الخبر يدل على مدى ورعه مع حديث رسول الله ﷺ وخوفه الشديد من تصحيح أحاديث قد لا تثبت صحتها عن النبي ﷺ فمن (300،00) حديث انتخب (3033)[16] أي ما نسبته 10%. وعن القصار قال: سمعت مسلم بن الحجاج، وأتى إلى البخاري فقبّله بين عينيه، وقال: دعني حتى أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين، وطبيب الحديث في علله...[17].

ويستفاد من هذا الخبر ما يدل على تواضع الإمام مسلم بن الحجاج، وورعه، وتجرده في طلب العلم؛ فلم تمنعه إمامته في الحديث، ولا ما بلغه من المكانة والشهرة بين المحدثين، من التواضع لأستاذه والاعتراف بفضله العلمي. فعندما خفي عليه وجهٌ من العلم في أحد الأحاديث، لم يحمله مقامه على التعالي أو إظهار الاستغناء، بل أظهر من التواضع والانكسار ما يدل على رسوخ أدب العالم مع أهل العلم، حتى همَّ بتقبيل رجلي أستاذه تقديرًا لعلمه وإقرارًا بتقدمه في تلك المسألة.

ويكشف هذا الموقف عن جانب من الزهد العلمي عند الإمام مسلم؛ إذ تجرد عن حظوظ النفس، وأخضعها للحق، وقدّم طلب العلم ومعرفة الصواب على الاعتداد بالمكانة العلمية. ومن هنا يتبين أن الزهد عند أئمة الحديث لم يكن مقصورًا على قلة التعلق بمتاع الدنيا، بل شمل كذلك تهذيب النفس، وترك الكبر، وقبول الحق، والاعتراف بفضل أهل العلم. ويتوافق هذا المعنى مع ما نُقل عن يحيى بن كثير رحمه

(13) • ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المحقق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، د.ت. 194/5.

(14) • ابن حجر، أحمد بن محمد بن علي (ت852هـ)، تقريب التهذيب، المحقق: محمد عوامة، دار الرشيد – سوريا، ط1، 1986م. (6623).

(15) الخطيب البغدادي أحمد بن علي بن ثابت (ت463هـ)، تاريخ بغداد، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط1، 1422هـ – 2002م، 121/15.

(16) بحسب النسخ التي بين يدي الباحث وهي الطبعة المعتمدة.

(17) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 121/15.

الله: «لا يتعلم العلم مستحيٍ ولا مستكبر»؛ فالتحصيل العلمي يقتضي التواضع، ومفارقة الكبر، والجرأة في السؤال، والرجوع إلى من هو أعلم فيما يخفى على طالب العلم.[18] .

أي ما أجمع الحفاظ على صحته، وهذا مسير شائك فإن الحفاظ يتفاوتون في أحكامهم على الحديث الواحد ما بين مصحح ومضعف، كما تتفاوت أحكام الفقهاء في الإباحة والمنع، فانظر إلى حجم المعاناة التي واكبها هذا الإمام الجهبذ في صياغته للصحيح وشدة ورعه فإنه مع علمه ومعرفته بالصحيح والضعيف اتخذ متأكدا آخر إلى علمه وهو نصوص النقاد وأحكامهم على الأحاديث ليتجنب مواضع خلافهم، وهذا غاية الورع منه رحمه الله.

المبحث الثالث: زهد أصحاب السنن:

المطلب الأول: أبو داود:

اسمه ونسبه:

سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير السجستاني[19].

أقوال النقاد فيه:

قال ابن حبان: وكان عالماً، ورعاً يخاف الله، محدثاً، وهو أحد الأئمة، جمع الحديث وصنفه[20]، وقال الحافظ: ثقة حافظ مصنف السنن توفي عام خمس وسبعين ومئتين[21].

نماذج من زهده:

طلب الأمير من أبي داود أن يفرد مجلسا لأبنائه يقرأ عليهم كتاب السنن فرفض أبو داود هذا الطلب وقال: لأن الناس شريفهم ووضيعهم في العلم سواء[22].

وعن أبي داود –رحمه الله–: الشهوة الخفية حب الرياسة[23].

(18) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الحياء في العلم، 38/1 قبل (130).

(19) ابن حبان، الثقات، 282/8.

(20) ابن حبان، الثقات، 282/8.

(21) ابن حجر، تقريب التهذيب، (2533).

(22) • ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله (ت571هـ)، تاريخ دمشق، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ - 1990م. 199/22 بتصرف.

(23) ابن عساكر، تاريخ دمشق، 200/22.

وقال أبو داود: كتبت عن رسول الله ﷺ خمسمائة ألف حديث انتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب -يعني: السنن- جمعت فيه أربعة آلاف وثمانمائة حديث ... ويكفي الإنسان منها: أحدها قوله: ﷺ (إنما الأعمال .....)[24]، والثاني قوله: (من حسن إسلام المرء .....)[25]، والثالث قوله: (لا يكون المؤمن مؤمناً .....)[26]، والرابع قوله: (الحلال بين والحرام بين، .....)[27].

وباستقراء نصوص الزهاد المتقدمة، يتبين أن أصول الزهد عندهم قامت على جملة من المعاني الشرعية المشتركة، في مقدمتها تصحيح النية، ومجاهدة النفس وتهذيبها، وترك فضول الدنيا، ومحبة الخير للناس، والشفقة عليهم، ولزوم التقوى، واجتناب الشبهات ومخالفة أهواء النفس، وإن اختلفت عصورهم وتفاوتت طرائقهم في التعبير عن الزهد وممارسته. ولم يكن زهدهم قائمًا على مجرد ترك الدنيا أو الانقطاع عنها، وإنما كان ثمرةً للعلم النافع ومراقبة الله تعالى.

وقد يُوهم بعض مظاهر الزهد الناظرَ بوجود نزعة فلسفية أو رهبانية، غير أن استقراء أقوالهم وأخبارهم يكشف أن الكتاب والسنة كانا الأصل الحاكم على منهجهم في العبادة والسلوك؛ إذ دارت نصوصهم حول تعظيم الله تعالى، ومراقبته، والخوف من عقابه، ورجاء رحمته، ومحاسبة النفس، والتحرز من مواطن الشبهة والهوى. ومن ثم يظهر أن الزهد عند هؤلاء الأئمة كان زهدًا منضبطًا بالهدي النبوي، متصلًا بالعلم والعمل، ومقصوده تزكية النفس وتحقيق العبودية لله تعالى، لا الرهبانية أو مخالفة مقتضيات الشريعة.

وقال إبراهيم الحربي: أُلين الحديث لأبي داود كما ألين الحديد لداود[28].

وقال الذهبي: كان -أي أبو داود- على مذهب السلف في اتباع السنة والتسليم لها، وترك الخوض في مضائق الكلام[29]، وقال أبو داود: خير الكلام ما دخل الأذن بغير إذن[30].

ويرى الكاتب

والمقصود بذلك صدق العالم في قوله، وموافقة عمله لما يدعو إليه؛ فمن كان آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، وكان أول الممتثلين لما يأمر به وأشدهم اجتنابًا لما ينهى عنه، كان ذلك أدعى إلى قبول قوله، وأرفع لمكانته عند الله تعالى. أما من خالف فعله قوله، وناقضت أعماله دعواه، فقد دخل في النهي الوارد في قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: 44].

(24) البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف بدء الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، 6/1، (1)؛ ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب قوله صلى الله عليه وسلم (إنما الأعمال بالنية) وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال، 1515/3، (1907).

(25) ابن حنبل، مسند أحمد، 259/3.

(26) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، 12/1 (13)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، 67/1، (45).

(27) مسلم، صحيح مسلم، 1219/3، (1599).

(28) • ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1412هـ - 1992م، 269/12.

(29) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 216/13.

(30) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 217/13.

ويظهر من استقراء تراجم العلماء أن صدق العبد مع الله تعالى، وإخلاصه في العلم والعمل، من أعظم أسباب بقاء الذكر الحسن ودوام الأثر؛ فقد بقيت تراجم الصحابة رضي الله عنهم، ثم التابعين ومن تبعهم بإحسان، وأئمة الحديث والفقه والزهد والتفسير، شاهدة على آثار أناس جمعوا بين العلم والعمل، فرفع الله تعالى ذكرهم، وأبقى آثارهم في الأمة.

وفي المقابل، حفظت كتب الجرح والتعديل أسماء من عُرفوا بالكذب والوضع وسوء الرواية، فكان ذكرهم مقترنًا بما ثبت في حقهم من أوصاف جرحية، تحقيقًا لمقصود هذا العلم في صيانة السنة وتمييز صحيح الرواية من سقيمها. ومن ثم فإن دراسة أحوال الرواة تكشف بوضوح عن أثر الصدق والتقوى والاستقامة في مكانة الراوي وأثره، كما تؤكد ضرورة محاسبة النفس ولزوم الاستقامة؛ فإن العبرة بالخواتيم، ولا يدري المرء على أي حال يلقى الله تعالى..

وعند البحث في ترجمة هذا الرجل المبارك وجد الباحث أبا داود يقول: ابني عبد الله كذاب[31].

فهم الباحث من هذا النص أن حالة الورع والصدق التي كانت ملازمة لأبي داود لم تمنعه من الطعن في أقرب الناس إليه ابنه الذي خرج من صلبه، وما طعنه إلا نصرة لدين الله وعدم المجاملة فيه.

المطلب الثاني: ابن ماجة:

اسمه ونسبه:

محمد بن يزيد الربعي، أبو عبد الله القزويني[32].

أقوال النقاد فيه:

قال الذهبي: الحافظ، الكبير، الحجة، عالم في التفسير، مصنف للحديث والتاريخ، والتفسير، وحافظ قزوين في عصره[33].

وقال أبو يعلى الخليلي: هو موثوق، يأخذ بحجته محدث وحافظ، تنقل بالعراق والشام ومكة، ومصر والري لكتب الحديث[34].

نماذج من زهده:

لم يقف الباحث على أخبار كثيرة عن زهد الإمام ابن ماجه، وإنما وردت الأخبار المتصلة بهذا الجانب في جملة من الروايات المتفرقة في كتب السنن والتراجم، ومن أشهر ما يُستأنس به في هذا الباب ما نُقل عن أبي عبد الله ابن ماجه أنه قال: (عرضت هذه النسخة على أبي زرعة، فنظر فيها وقال: أظن إن وقع هذا في أيدي الناس تعطلت هذه الجوامع)

ويكشف هذا الخبر عن جانب من تواضع ابن ماجه وحرصه على التثبت في العلم؛ فلم تمنعه مكانته الحديثية وتقدمه في التصنيف من الرحلة إلى نيسابور، وعرض ما جمعه على الإمام أبي زرعة الرازي، طلبًا للنقد والتحقيق، واستيثاقًا من أحاديث كتابه وتمييزًا لما يصح منها

(31) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 228/13.
(32) المزي، تهذيب الكمال، 40/27 (5710).
(33) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 277/13.
(34) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 279/13.

مما يحتاج إلى مزيد نظر. كما يدل الخبر على رسوخ أدب التلميذ مع العالم، وقبول النصيحة من أهل الاختصاص؛ إذ قصد ابن ماجه أبا زرعة لما عرف عنه من الإمامة في علم الحديث ونقد الرواية.

ويُعد هذا المعنى من الأخلاق العلمية التي اتصلت بمفهوم الزهد عند أئمة الحديث؛ إذ لم يكن الزهد عندهم مجرد ترك حظوظ الدنيا، بل شمل التواضع للحق، والتجرد في طلب العلم، وقبول النصح، وتقديم سلامة الدين والعلم على حظوظ النفس ومكانتها. كما يتصل ذلك بأصل شرعي راسخ في بناء العلاقة بين أهل العلم، وهو التواد والتراحم والتعاطف والتعاون على البر والتقوى، وهو ما يشهد له حديث النبي ﷺ: «مَثَلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد...»، وهو حديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم (2586)[35] شعارهم ومنهجهم.

المطلب الثالث: الترمذي:

اسمه ونسبه:

محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي الترمذي الضرير أبو عيسى[36]. وقيل: محمد بن عيسى بن يزيد بن سورة بن السكن[37]. وينسب أيضا بالبوغي نسبة لقرية من قرى ترمذ قريبة منها[38].

أقوال النقاد فيه:

قال ابن خلكان: الحافظ المشهور؛ أحد الأئمة الذين يقتدى بهم في علم الحديث[39]، وقال الخليلي: الحافظ متفق عليه، له كتاب في السنن، وكلام في الجرح والتعديل[40]، وقال المزي: أحد الأئمة الحفاظ المبرزين، ومن نفع الله به المسلمين[41]، وقال الحافظ: صاحب الجامع أحد الأئمة توفي سنة تسع وسبعين ومئتين[42].

نماذج من زهده:

قال عمر بن علك: بكى –أي الترمذي– حتى عمي، وبقي ضريرا سنين[43].

---

(35) مسلم، صحيح مسلم، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، 1999/4، (2586)، من حديث النعمان بن بشير.

(36) • ابن نقطة، محمد بن أبي بكر بن شجاع (ت 629هـ)، التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، المحقق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، ط1، 1408هـ - 1988م ، 96.

(37) المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، 250/26.

(38) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 278/4.

(39) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 278/4.

(40) الخليلي، الإرشاد في معرفة الثقات، 904/3.

(41) المزي، تهذيب الكمال، 250/26.

(42) ابن حجر، تقريب التهذيب، (6206).

(43) الصالحي محمد بن أحمد بن عبد الهادي (ت744هـ)، طبقات علماء الحديث، تحقيق: أكرم البوشي، إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط2، 1417هـ – 1996م، 339/2.

قال الترمذي: صنفت هذا المسند الصحيح فعرضته على علماء الحجاز وخراسان والعراق فرضوا به، ومن كان في بيته هذا الكتاب فكأنما في بيته نبي يتكلم[44].

وفي هذا الأثر دلالة ظاهرة على جانب من ورع الإمام الترمذي واحتياطه في الرواية، وشدة عنايته بالتحقق من حديث رسول الله ﷺ؛ إذ لم يكتفِ بما حصّله من الروايات، بل رحل في طلب الحديث، وقطع الأمصار والفيافي، ابتغاء مزيد من التثبت والاستيثاق مما أورده في كتابه. وقد انعكس هذا المنهج النقدي في تصنيفه، حيث اعتنى ببيان مراتب الأحاديث، والتمييز بين الصحيح والحسن والضعيف والغريب، بما يكشف عن أمانته العلمية، وتجرده في خدمة السنة، وخوفه من أن ينسب إلى النبي ﷺ ما لا يثبت عنه. ومن ثم فإن هذا المسلك يمثل صورة من صور الزهد العلمي، الذي يتجلى في تقديم الاحتياط للدين وصيانة السنة على الراحة وحظوظ النفس.

المطلب الرابع: النسائي:

اسمه ونسبه:

أحمد بن شعيب، يكنى أبا عبد الرحمن[45].

أقوال النقاد فيه:

قال ابن عساكر: أحد الأئمة والأعلام، صنف السّنن وغيرها. أحد الأئمة المبرزين والحفاظ المتقنين والأعلام المشهورين...[46]، وقال الذهبي: الإمام، الحافظ، الثبت، شيخ الإسلام، ناقد الحديث...[47].

نماذج من زهده:

قال ابن العديم: ومع ما جمع أبو عبد الرحمن من الفضائل رزق الشهادة في آخر عمره[48].

قال الباحث: قوله: (رزق الشهادة) أي الشهادة في سبيل كلمة الحق، -وسيأتي بيانه- وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ: (أفضل الجهاد كلمة حق .....الخ)[49].

وأما قوله: «وما رُوي في فضائله»، فالظاهر من سياق السؤال أن المقصود لم يكن الاستفسار عن فضائل معاوية رضي الله عنه مجردة، وإنما كان السؤال عن وجه تقديم فضائل معاوية على فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وهو ما يتضح من جواب الإمام

(44) ابن كثير إسماعيل بن عمر بن كثير (ت 774هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر التوزيع والإعلان، ط1، 1418هـ - 1997م، 649/14.

(45) أبو سعيد أحمد بن علي بن يونس (ت 347هـ)، تاريخ ابن يونس المصري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ، (55).

(46) ابن عساكر، تاريخ دمشق، 170/71.

(47) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 125/14.

(48) • ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله (ت660هـ)، بغية الطلب في تاريخ حلب، المحقق: سهيل زكار، دار الفكر، د.ت. د.ط. 785/2.

(49) ابن ماجة، سنن ابن ماجة، أبواب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، (4012). قال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه على سنن ابن ماجة: إسناده حسن.

النسائي رحمه الله. وأما قوله: «لا يرضى معاوية رأسًا برأس»، فيُحمل على سبيل التعريض بمن سأله؛ أي: كيف يُسأل عن فضائل معاوية في مقابلة فضائل علي رضي الله عنه، وكأن السائل يطلب إثبات مساواة معاوية لعلي في الفضل أو تفضيله عليه؟

ولا يصح حمل كلام النسائي على انتقاص معاوية رضي الله عنه أو الطعن فيه؛ فإن علي بن أبي طالب رضي الله عنه من كبار الصحابة وأئمة الهدى، وله من الفضائل الثابتة ما لا يخفى، ولا يلزم من إثبات مزيد فضله على غيره من الصحابة انتقاص غيره. وقد أشار ابن عساكر إلى هذا المعنى، فقال: «وهذه الحكاية لا تدل على سوء اعتقاد أبي عبد الرحمن في معاوية بن أبي سفيان، وإنما تدل على الكف في ذكره بكل حال.

ويؤيد ذلك ما رُوي عن الإمام النسائي رحمه الله أنه سُئل عن معاوية بن أبي سفيان، صاحب رسول الله ﷺ، فقال: «إنما الإسلام كدار لها باب، فباب الإسلام الصحابة، فمن آذى الصحابة إنما أراد الإسلام، كمن نقر الباب إنما يريد دخول الدار، قال: فمن أراد معاوية فإنما أراد الصحابة». ويظهر من هذا الأثر تعظيم النسائي لجناب الصحابة رضي الله عنهم، واحترازه من الخوض فيما يفضي إلى الانتقاص منهم، وهو من الورع في القول، ولا سيما في مسائل وقع فيها اختلاف تاريخي وكلامي، مما ينسجم مع منهج أئمة الحديث في حفظ مكانة الصحابة والكف عما لا تدعو إليه حاجة علمية معتبرة. [50].

وقوله: (فما زالوا يدفعون في جنبيه)[51].

ويجد الباحث في شخصية النسائي –رحمه الله – شخصية ربطت بين الزهد والعمل والعلم فقد صنف كتاب الخصائص في فضل علي بن أبي طالب... فقيل له: ألا تصنف كتاباً في فضائل الصحابة رضي الله عنهم، فقال: دخلت دمشق والمنحرف بها عن علي رضي الله عنه، فرجوت أن يهديهم الله بهذا الكتاب[52]. قال الباحث: أبان النسائي –رحمه الله– عن سبب تأليف الكتاب وهو هداية الله تعالى لقوم انصرفوا عن الحق، ومالوا إلى غيره، وهذه النية التي عقدها النسائي –رحمه الله تعالى– مستقاة من قوله ﷺ (لأن يهدى بك رجل واحد.....الخ)[53].

وهذه الصورة من أكبر الدعائم التي سار عليها الزهاد في حياتهم وإلى مماتهم فما زالوا يذكّرون الناس ويعظونهم ويحاولون هدايتهم إلى الحق حتى صاروا مضرب المثل.

ومن خلطه العلم بالعمل ما رواه المشايخ إذ قالوا: النسائي كثير الصبر، ترجم حديث أبي لهيعة، وكان لا يرى أن يحدث بحديث ابن لهيعة[54].

(50) المزي، تهذيب الكمال، 339/1 -340 (48).

(51) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 77/1.

(52) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 77/1.

(53) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام والنبوة، 47/4 (2942) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(54) المزي، تهذيب الكمال، 335/1 (48).

وكان رحمه الله يصوم يوما ويفطر يوما[55]، متعبدا بالليل والنهار ومواظبا على الحج والاجتهاد[56].

وخرج يوما مع موكب الأمير لفداء مسلمين وقعوا في الأسر فاجتنب مجالس الأمير وانشغل بأقامة السنن المأثورة[57]...

المبحث الثاني: الرواة الزهاد المذكورون تمييزا:

بالنظر لأهمية السنن الكبرى عند المسلمين فقد أفرد أصحاب المصنفات ترجمة وافية لكل من روى عنهم أصحاب الكتب الستة، ويأتي في مقدمة هذه الكتب كتاب تهذيب الكمال بأسماء الرجال للحافظ المزّي، ثم تهذيب التهذيب وتقريب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلاني، وقد ذكر الحافظ بعض الأسماء تمييزا عن غيرهم، وهم مع وصفهم هذا فقد ذكرهم الحافظ بالزهد فهؤلاء على شرط البحث وقد قسمهم الباحث قسمين:

الأول: المذكورون في التراجم تمييزا مع اشتهارهم.

الثاني: المذكورون في التراجم تمييزا مع قلة أخبارهم.

ذكر الحافظ ابن حجر في كتاب التقريب رواة تمييزا عن غيرهم وذلك لتماثلهم في الأسماء والكنى مع غيرهم من الرواة وهم موصوفون بالزهد فكانوا على شرط البحث.

المطلب الأول: المذكورون تمييزا والمشهورون بالزهد:

1- المحاسبي:

اسمه ونسبه:

الحارث بن أسد، أبو عبد الله البغدادي[58].

أقوال النقاد فيه:

(55) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 78/1.

(56) المزي، تهذيب الكمال، 334/1، (48).

(57) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 132/14.

(58) المزي، تهذيب الكمال بأسماء الرجال، 208/5، (1007).

قال الخطيب: إنه عالم له العديد من الكتب في المعاملات وكتب في التقشف[59]، وأخبرنا أيضا: كتبه كثيرة في التقشف، وغيرها من المواضيع[60]، وقال المزي: أحد الأئمة المشهورين[61]، وقال الذهبي: المحاسبي كبير القدر، وورد: أن الإمام أحمد حذّر منه[62]، وعن أبي القاسم النصراباذي: أن المحاسبي تكلم في شيء فهجره الإمام أحمد، فذهب إلى بغداد ومات فيها، وتوفي عام ثلاث وأربعين ومائتين[63].

وسمي المحاسبي؛ لأنه كان يحاسب نفسه. وقيل: لأنه كانت له حصى يعدها ويحسبها حالة الذكر[64].

نماذج من زهده:

قال الحارث المحاسبي: المحاسبة والموازنة بأماكن أربعة: هي الكفر والإيمان، والتوحيد والشرك، الإخلاص والرياء، والصدق والكذب[65]. وقال أيضا: ترك الدنيا زهداً[66]، وقوله واقفيا: قال الصفدي: يقف في القرآن الكريم، يقول: فلا يقول هو مخلوق ولا غير مخلوق[67].

وقال المحاسبي: صفة العبودية لا ترى لنفسك ملكا وتعلم أنك لا تملك لنفسك ضرا ولا نفعا[68].

وعن جعفر ابن أخي أبي ثور يقول: حضرت وفاة المحاسبي فقال: إن رأيت منزلتي تبسمت إليكم، وإن كان غير ذلك تبينتم في وجهي، فتبسم، ثم مات[69].

قال الباحث: وللحارث المحاسبي أخبار كثيرة جدا، ولم يتوسع فيها الباحث خشية التطويل.

2- الداراني:

اسمه ونسبه:

(59) الخطيب (ت 463هـ)، المتفق والمفترق، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد صادق آيدن الحامدي، دار القادري للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1417هـ - 1997م، 766/2.

(60) الخطيب، تاريخ بغداد، 104/9.

(61) المزي، تهذيب الكمال بأسماء الرجال، 208/5.

(62) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 112/12.

(63) الخطيب، تاريخ بغداد، 104/9.

(64) ابن الصلاح عثمان بن عبد الرحمن (ت643هـ)، طبقات الشافعية، المحقق: محيي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط1، 1992م، 438/1.

(65) السلمي، محمد بن الحسين بن محمد (ت 412هـ)، طبقات الصوفية، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1998م، 60.

(66) المزي، تهذيب الكمال بأسماء الرجال، 2011/5.

(67) الصفدي خليل بن أيبك (ت 764هـ)، الوافي بالوفيات، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، 1420هـ- 2000م، 198/11.

(68) أبو عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، 61.

(69) • ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن (ت643هـ)، طبقات الشافعية، المحقق: محيي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط1، 1992م. 441/1.

عبد الرحمن بن أحمد الداراني المتقشف عاش في دمشق[70].

أقوال العلماء فيه:

ذكره ابن حبان في الثقات وقال: من خيار أهل الشام وأفضل أهل عصره[71]، وقال الذهبي: الإمام، الكبير، زاهد العصر[72]، وقال ابن الملقن: أحد الأوتاد والأقطاب[73].

وحكي في سبب توبته: اختلفت إلى منزل قاص، تأثرت بكلامه، فلما لم يبق في قلبي شيء، فعدت ثانيا فسمعت كلامه، فبقي في قلبي حتى عدت إلى داري، فكسرت آلات المخالفات، ولزمت الطريق[74].

نماذج من زهده:

قال التهاوني: عرف الزهد بأنه: ترك ما شغلك عن الله عزّ وجلّ[75]، قال الداراني: إذا غلب الرجاء على الخوف فسد الوقت[76]، وأخبرنا أيضا: إذا سكنت الدنيا في قلب ترحلت منه الآخرة[77].

وقال أيضا: من وثق بالله في رزقه زاد في حسن خلقه وأعقبه الحلم وسخت نفسه في نفقته وقلّت وساوسه في صلاته[78]، وقال أيضا: أبلغ الأشياء فيما بين الله وبين العبد المحاسبة[79]، وقال أيضا: إذا استحيا العبد من ربه عزّ وجلّ فقد استكمل الخير[80].

وقال الحواري: قال لي أبو سليمان: أيكون شيء أعظم ثوابا عند الله من الصبر؟ قلت: نعم، الرضى عن الله، قال: ويحك! إن الله يوفي الصابرين أجرهم بغير حساب، فانظر ماذا يفعل بالمرضي عنهم[81].

المطلب الثاني: المذكورون تمييزا مع قلة أخبارهم في الزهد:

3- الأبيوردي:

---

(70) ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس (ت 327هـ)، الجرح والتعديل، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن – الهند دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 1952م، 264/5.

(71) ابن حبان، الثقات، 377/8.

(72) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 182/10.

(73) ابن الملقن (ت804هـ)، طبقات الأولياء، بتحقيق: نور الدين شريبه من علماء الأزهر، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، ط2، 1415هـ - 1994م، 386.

(74) ابن الملقن، طبقات الأولياء، 388.

(75) التهانوي محمد بن علي بن محمد (ت بعد 1158هـ)، موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ط1- 1996م، 914/1.

(76) أبو عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، 75.

(77) أبو عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، 75.

(78) أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد (ت431هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار السعادة -بجوار محافظة مصر، 1974م، 257/9.

(79) السلمي، طبقات الصوفية، 75.

(80) أبو نعيم، حلية الأولياء، 257/9.

(81) • ابن الملقن، عمر بن علي بن أحمد (ت804هـ)، طبقات الأولياء، بتحقيق: نور الدين شريبه من علماء الأزهر، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، ط2، 1415هـ - 1994م، 390.

اسمه ونسبه:

محمد بن حماد الأبيوردي[82].

أقوال النقاد فيه:

ذكره ابن حبان في الثقات، وقال: مات سنة ثمان أو تسع وأربعين ومائتين[83]، وذكره المزي وعدّ له (16) شيخا، و(5) من التلاميذ[84].

نماذج من زهده:

لم يقف الباحث على أخبار له بعد طول بحث.

4- ابن سيار:

اسمه ونسبه:

محمد بن قدامة بن سيار البلخي الزاهد[85].

أقوال النقاد فيه:

قال الحافظ: مقبول[86]، وقال الذهبي: لا أعرفه[87].

قد ذكر المزّي له ستةً من الشيوخ وتلميذًا واحدًا، ثم قال عقب ذلك، في ترجمته وترجمة جماعة من الرواة: «ذكرناهم للتمييز بينهم»، أي: لإزالة الاشتباه الواقع بينهم بسبب تشابه أسمائهم، وتمييز كل راوٍ منهم عن غيره، وهو من المقاصد المهمة في كتب تراجم الرواة وعلم الرجال؛ إذ يُسهم ذلك في ضبط هوية الراوي، ومن ثم صيانة الإسناد من التصحيف والخلط والاشتباه[88].

نماذج من زهده:

لم يقف الباحث على أخباره بعد طول بحث.

5- الرملي:

اسمه ونسبه:

(82) الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد (ت 405هـ) تاريخ نيسابور، كتابخانة ابن سينا – طهران، عرّبه عن الفرسية: د. بهمن كريمي . طهران (527).
(83) ابن حبان، الثقات، 99/9.
(84) المزي، تهذيب الكمال، 92/25 (5163).
(85) المزي، تهذيب الكمال، 315/26.
(86) ابن حجر، تقريب التهذيب، (6240).
(87) الذهبي، ميزان الاعتدال، (8084).
(88) المزي، تهذيب الكمال، 315/26.

مهدي بن جعفر بن جيهان بن بهرام الزاهد[89].

أقوال النقاد فيه:

وقال ابن عدي: يروي عن الثقات أشياء لا يتابعه عليها أحد[90]، وقال يحيى بن معين: ثقة[91]، وقال الذهبي: له حديث منكر[92]، وقال صالح جزرة: لا بأس به[93]، وأخبرنا الحافظ: صادق، من العاشرة مات سنة سبع وعشرين ومئتين[94].

نماذج من زهده:

قال مهدي بن جعفر: كان يقال: الزهد نوعان: زهد الدنيا وزهد الرئاسة، فمن زهد في الدنيا ولم يزهد في الرئاسة لم ينفعه زهده، ومن زهد في الرئاسة كان في الدنيا أزهد[95].

خاتمة

يتبين من خلال استقراء المادة التراجمية أن دراسة الزهد عند المحدثين تكشف جانبًا مهمًا من الشخصية العلمية لأئمة الحديث، إذ لم يكن اشتغالهم بالرواية والتصنيف منفصلًا عن العبادة وتهذيب النفس ومراقبتها، فقد تجلت مظاهر الزهد في صور متعددة، من أبرزها الورع في نقل الحديث، والتحرز في الحكم على الرواة، والتواضع لأهل العلم، ومجانبة طلب الرياسة، ومحاسبة النفس، والإكثار من العبادة، والصبر، والقيام بما يرونه من مقتضيات النصيحة والأمانة العلمية.

كما أظهرت الدراسة أن الأخبار المتعلقة بزهد الرواة ليست على درجة واحدة من الوفرة والثبوت، مما يوجب على الباحث في التراجم أن يراعي طبيعة المصادر وأسانيد الأخبار، وأن يميز بين النقل التاريخي، والحكم الحديثي، والاستنباط العلمي .ومن ثم فإن القيمة الأساسية لهذه المادة لا تكمن في مجرد تعداد أخبار الزهد، وإنما في الكشف عن أثر القيم التعبدية والأخلاقية في تكوين شخصية المحدث ومنهجه في حمل السنة وأدائها.

وبذلك يظهر أن الزهد في البيئة الحديثية لم يكن مفهومًا منعزلًا عن العلم، بل كان في صور كثيرة منه قرينًا للأمانة والورع والتحري، ومكوّنًا من مكونات الشخصية العلمية التي أسهمت في حفظ السنة ونقلها إلى الأجيال اللاحقة.

النتائج

يمكن صياغة النتائج التي تنتهي إليها الدراسة على النحو الآتي:

1. ظهر الزهد عند أئمة الحديث والرواة بوصفه سلوكًا متصلًا بالعلم والعمل، تجلّى في العبادة، ومجاهدة النفس، والتواضع، ومراقبة الله تعالى،

(89) ابن يونس عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي (ت 347هـ)، تاريخ ابن يونس المصري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ، 238/2.

(90) ابن عدي عبد الله بن عدي بن عبد الله (ت365هـ)، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض، الكتب العلمية – بيروت-لبنان، ط1، 1418هـ- 1997م، 461/3،

(91) ابن عساكر، تاريخ دمشق، 61/ 279.

(92) الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ)، المغني في الضعفاء، تحقيق: نور الدين عتر، د.ط. د.ت، (6464).

(93) ابن عساكر، تاريخ دمشق، 61/ 279.

(94) ابن حجر، تقريب التهذيب، (6930).

(95) ابن عساكر، تاريخ دمشق، 280/61.

وترك التعلق بالدنيا وحب الرياسة.

2. كان الورع العلمي من أبرز مظاهر زهد المحدثين، وظهر في شدة التثبت في رواية الحديث ونسبته إلى النبي ﷺ، والاحتياط في الحكم على الأحاديث والرواة، والتحرز من القول بغير علم.
3. تكشف تراجم أئمة الحديث، كالبخاري ومسلم وأبي داود والنسائي، عن تلازم العلم والسلوك الديني والأخلاقي، من خلال التواضع، والصبر، والعدل، وخدمة السنة، وقبول النقد، وصيانة العلم عن الأغراض الشخصية.
4. تفاوتت مظاهر الزهد بين الرواة بحسب أحوالهم وتراجمهم؛ فبرز عند بعضهم في محاسبة النفس ومراقبة القلب والخوف والرجاء والصبر والرضا، بينما اقتصر المنقول عن بعضهم على أخبار محدودة أو أوصاف موجزة بالزهد والورع.
5. خلصت الدراسة إلى أن الزهد عند المحدثين لم يكن انقطاعًا عن العلم أو الحياة، بل منهجًا في تهذيب النفس وإخلاص القصد وتعظيم السنة، وربط العلم بالعمل والاستقامة، بما يحقق الأمانة العلمية والدينية.

المصادر والمراجع

ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس (ت 327هـ)، الجرح والتعديل، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن – الهند دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 1952م.

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1412هـ - 1992م.

ابن الصلاح عثمان بن عبد الرحمن (ت643هـ)، طبقات الشافعية، المحقق: محيي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط1، 1992م.

ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله (ت660هـ)، بغية الطلب في تاريخ حلب، المحقق: سهيل زكار، دار الفكر، د.ت. د.ط .

ابن الملقن، عمر بن علي بن أحمد (ت804هـ)، طبقات الأولياء، بتحقيق: نور الدين شريبه من علماء الأزهر، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، ط2، 1415هـ - 1994م .

ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد (ت 354هـ)، الثقات، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط1، 1393هـ - 1973م، 114/9 .

ابن حجر، أحمد بن محمد بن علي (ت852هـ)، تقريب التهذيب، المحقق: محمد عوامة، دار الرشيد – سوريا، ط1، 1986م .

ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المحقق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، د.ت .

ابن عدي عبد الله بن عدي بن عبد الله (ت365هـ)، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض، الكتب العلمية - بيروت-لبنان، ط1، 1418هـ- 1997م.

ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله (ت571هـ)، تاريخ دمشق، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ - 1990م.

ابن كثير إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت 774هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر التوزيع والإعلان، ط1، 1418هـ - 1997م.

ابن نقطة، محمد بن أبي بكر بن شجاع (ت 629هـ)، التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، المحقق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، ط1، 1408هـ - 1988م .

ابن يونس عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي (ت 347هـ)، تاريخ ابن يونس المصري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ .

أبو الوليد الباجي سليمان بن خلف بن سعد (ت474هـ)، التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، المحقق: أبو لبابة حسين، دار اللواء للنشر والتوزيع – الرياض، ط1، 1406هـ – 1986م .

أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد (ت431هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار السعادة -بجوار محافظة مصر، 1974م.

التهانوي، محمد بن علي بن محمد (ت بعد 1158هـ)، موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ط1- 1996م.

الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد (ت 405هـ) تاريخ نيسابور، كتابخانة ابن سينا – طهران، عرّبه عن الفرسية: د. بهمن كريمي . طهران.

الخطيب البغدادي أحمد بن علي بن ثابت (ت463هـ)، تاريخ بغداد، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط1، 1422هـ - 2002م.

الخطيب البغدادي، (ت 463هـ)، المتفق والمفترق، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد صادق آيدن الحامدي، دار القادري للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1417هـ - 1997م .

الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ)، المغني في الضعفاء، تحقيق: نور الدين عتر، د.ط. د.ت، (6464).

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1985م.

السلمي، محمد بن الحسين بن محمد (ت 412هـ)، طبقات الصوفية، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1998م .

الصالحي محمد بن أحمد بن عبد الهادي (ت744هـ)، طبقات علماء الحديث، تحقيق: أكرم البوشي، إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط2، 1417هـ – 1996م.

الصفدي خليل بن أيبك (ت 764هـ)، الوافي بالوفيات، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، 1420هـ-2000م.

المزي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف (ت742هـ)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المحقق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط1، 1980م.

النووي، محي الدين يحيى بن شرف (ت676هـ)، تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية – بيروت لبنان. د. ط، د.ت.